المثالية الألمانية.

علي يطو

جامعة الجزائر2

ملخص البحث:

في هذا المقال نحاول أن نعرّف أحد مباحث الفلسفة، وهو الفلسفة المثالية الألمانية ليس من بدايتها الى نهايتها فهذا شيء أقرب الى الخيال، لأسباب منها أنّ ورقات البحث لا تسمح، كما أن هناك مؤلفات مطولة في هذا الموضوع لمن شاء التوسع أكثر.

هذا وكانت الحاجة ماسّة الى كتابة هذا البحث لأنّ طلبة الفلسفة يحتاجونه كونه جزءا من موادهم، ليس هذا فحسب بل هناك بحوث كثيرة تابعة، نرجو أن تنشر قريبا.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، عالم المثل، المثالية.

الملخص باللغة الإنجليزية:

In this article we will try to find an admonishing philosophy, which is the ideal German philosophy not all, from the beginning till the end, because the research articles would not allow it, but for those who would like to expand their research, they would find long broad writings

In addition to that, this article was written for the need of the students for such a research. There are also other researches that would be published hopefully as soon as possible.

Key words: philosophy, ideal world, idealism.

تنبيه أولي: قسمنا البحث الى مقالين:

الأول: يتكلم عن المثالية بعامة والألمانية بخاصة مركزا على نشأة الأخيرة وأساساتها ومدى أصالتها. وهو مقال اليوم.

والثاني: عن معنى المثالية بشكل أخص عند كل فيلسوف ألماني مثالي مع خلفيته الفكرية الفلسفية والتي من خلالها أخرج فلسفته المثالية. وهذا سيكون المقال القادم وقد أتممناه. والحمد الله.

و**نبدأ مع المقال الأول:** والذي يتكلم عن المثالية بعامة والألمانية بخاصة مركزا على نشأة الأخيرة وأساساتها ومفهومها ومدى أصالتها. وقسمناه الى ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: لماذا المثالية؟ وما نسقها؟

أ/ نسأل، لماذا المثالية ؟ :

"كانت المثالية ولا تزال فكرا معارضا لكل نظام – قديما كان أو حديث – يعتدي على كرامة الإنسان وحقوقه فكرا يدافع عن العدل والمساواة بينهم وعن حريتهم"[1]، ولهذا فإن التّذكير بالمثالية ومنها الألمانية خاصّة، هو أمر تقتضيه الفلسفة نفسها بحسب المثاليين، وهذا لأنّ المثالية في حقيقتها لم تهجر الواقع – كما اتّهمتها الفلسفة التجريبية[2]، بل وهذه الفلسفة الانجليزية المعاصرة فيها مثالية وممثلوها: فرانسيس هربرت برادلي

[1] – هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**، ترجمة: أبو يعقوب المرزوقي وآخرون(الشبكة العربية، بيروت، ط1: 2012م) ج1: ص26.

[2] – يمكن ان تنظر في: دفيد هيومDavid Hume: **مبحث في الفاهمة البشرية Enquiry Concerning The Human Understanding**، ترجمة: موسى وهبة(دار الفارابي، بيروت– لبنان، ط1: 2008م).

(Francis Herbert Bradley 1846-1924م)، وبوزانكيت(Bernard Bosanquet 1848-1923م)، وماكتجارت(1866-1925م)[3] وهم من أنصار الهيجلية الجديدة-، بل هي تكشف العلل وتُعطي حلولا للواقع، فيما يحتاج إليه الناس. وبما أننا عرفنا سبب اختيار الفلسفة المثالية، فإنه يحسن بالمقام تقديم عام حول هاته التي نسميها "مثالية".

ب/ تقديم عام حول المثالية:

إن نسق، واتجاه الفلسفة المثالية(أو الفلسفات المثالية)، بدء من أفلاطون(Platon/427- 347 ق.م)، والعقلية بدءا من المعتزلة[4]، وأبو حامد الغزالي"(450- 505هـ/ 1058- 1111م)، وابن رشد(يسميه الأوربيون Averroes/520- 595هـ/ 1126- 1198م)[5]، وديكارت(René Descartes 1596- 1650م)، وأصحاب الأنساق الفلسفية فيما بعد عموما، كلهم تجدهم ومنذ البداية، ينتمون بذواتهم إلى غير العالم الأرضي(الواقعي، أو المادي)، فمثلا مع أفلاطون كان عالم المُثل هو عالم القيمة الحقيقية، فهو عالم المثال، بل المُثل نفسه، وهو عالم مثالي لأنه يحوي القيم المُثلى،

[3] - ارجع للتفصيل: فرانكلين،ل، بامور: **الفكر الأوربي الحديث، الاتصال والتّغير في الأفكار**(الهيئة المصرية، مصر: 1989م) ج3(القرن19): ص51.

[4] - فرقة إسلامية ظهرت نحو القرن 2هـ في مدينة البصرة. انظر حولها "الشهرستاني" في كتابه "الملل والنِّحل".

[5] - أنظر: محمد عمارة مصطفى: **المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد** (دار المعارف، لم ارى دولة، 1998م).

بمعنى به(قيم القيم) إن صحّ التعبير، بل هو العالم الوحيد للقيمة أيا كانت هذه القيمة، فتلك هي أرضيتها ومنها أصالتها، وأنّها هي التي ستوصف بالفضيلة، والتي هي وسط بين رذيلتين، وخير بين خيرين، فهي وسط بين: لاهوتي، وأرضي (=اجتماعي، وفرداني، جماعي وشخصاني، مطلق ونسبي، موضوعي وذاتي،...)، تتجاذبُ بينهما.

وهذا التجاذب والأخذ والردّ، سيكون من طرفِ الإنسان الحامل لتلك (القيم)[6]، فمثلا الرومانتيكية – حركة "مثلها مثل عصر التنوير، كانت ذات تأثير عالمي، على كل مستوى، في الفكر، في الأدب والفنون"[7]) – تصوّره – أي الإنسان – مقذوف تجاه السّماء، بمعنى أن الانسان في صنعه للقيم يبقى مرتبطا بالله وما انزل من وحي، أي لا يستطيع رسم قيم بمعزل عن الدّين كما تتوهم الحداثة، وما بعدها، وهكذا يبقى عالم المُثل والدّيني منه، مصدرا للمثالية العامة في قيمها وشكلها وفلسفتها. وكان أبرز هذه الاتجاهات:

[6] – يُنظر: عزيز السيد جاسم: **ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية** (دار النهار للنشر، الدولة، ط1: 1982م).

[7] – إزايا برلين: **جذور الرومانتيكية**: ترجمة: سعود السويدل (جداول للنشر والتوزيع، ط1، الكويت: 2012م) ص9. وأنظر تاريخ الرومنتيكية: فرانكلين،ل، بامور: **الفكر الأوربي الحديث، الاتصال والتّغير في الأفكار**: ص12 مرجع سابق. و إ. م. بوشنسكي: **الفلسفة المعاصرة في أوربا**، ترجمة: عزّت قرني (المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة. رقم: 165، الكويت، 1992م) ص28.

- **الفلسفة المثالية المفارقة: (أفلاطون : 427- 347 ق.م).**

- **الفلسفة المثالية اللامادية: (جورج باركلي: 1685 – 1753م)**[8].

- **الفلسفة المثالية النقدية**[9]**، (امانوال كانط** Immanuel Kant 1724 – 1804م).

- **الفلسفة المثالية الواقعية:** خليفة كرسي كانط: **يوهان فريدريش هاربرت شللر** Johann Friedrich von Schiller (1759- 1805م). اتخذت الجزء الواقعي من فلسفة كانط أرضية لها.

- **المثالية الذاتية، جوهان غوتلب فيشته** Johqnn Gottlieb Fichte (1762-1814م).

[8] – يمكن تلخيص فلسفة باركلي(المسيحي) بجمل ثلاث، وهي قوله: "أن يوجد معناه أن يُدرَك" و"أنّ الطبيعة هي اللغة التي يخاطبنا بها الله وليست علة مغايرة عن الله"، و"أن المُثل هي الله نفسه". من أهم كتبه: "**مبادئ المعرفة الانسانية، حيث يفحص عن أهم أسباب الخطأ والصعوبة في العلوم، وأسّس الشّك والكفر بالله والإلحاد**". وهو الكتاب المشتمل على مذهبه اللامادي. أنظر: يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة.** ص126. مرجع سابق.

[9] – أنظر مقدمة: سبينوزا: **رسالة في اللاهوت والسّياسة**، ترجمة حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا (دار التنوير، بيروت، ط1: 2005م) ص ص: 19- 22 الحاشية والمتن. ويخطئ حنفي أخطاء كارثية في مقدمته هذه، في كلامه عن النبي والنبوة والله والوحي ونحن نلزمه بهذا لأنه نبه إلى جميل تطبيق منهج سبينوزا على الوحي الاسلامي.

– **المثالية الموضوعية، فريدرش شللنج**(Friedrich Wilhelm Joseph Schelling (1775– 1854م).

– **الفلسفة المثالية المطلقة – من المطلق(des Absolute) –**

أو الموضوعية: (فريدرش هيجل: Georg Wilhelm Friedrich Hegel /1770 – 1831م)[10].

وهكذا تلحظ أن هناك أوجه اختلاف وتشابه بين المثالية الكلاسيكية والحديثة، ومن أهم الاختلافات بينهما انّ القديمة متعالية مفارقة منفصلة عن واقعنا الحسي، مُثلها وعالمها الفكري مثبِت للميتافيزيقا. أما المثالية الحديثة فهي نسبية متّصلة بواقعنا.

والاختلاف بينهما لم يمنع من وجوه اتفاق بينهما نذكر منها، أنّ كلاهما يسعى لخدمة الانسان وكذا جوهر الأشياء، "ومن وجهة النظر هذه لا تستطيع المثالية أن تقبل ان يكون(للأشياء) وجود في ذاتها، مستقل عن الفكر، لأنّ ما هو خارج الفكر لا يمكن أن يكون متعقلا– [إلى هنا الكلام معقول، لكن تضيف قيدا سيئا جدا هو][11]– وبالتالي لا يكون شيئا"[12]، أي

[10] – ارجع الى: امام عبد الفتاح امام: **المنهج الجدلي عند هيجل** (دار المعارف، مصر، 1968م) ص، ص: 367– 404.

[11] – ما بين معقوفتين زيادة مني ليتضح المقال.

[12] – عثمان أمين: **روّاد المثالية في الفلسفة الغربية روّاد المثالية في الفلسفة الغربية**(دار الثاقفة، القاهرة– مصر، 1989م) ص9.

الشيء الذي هو مستقل عن فكرنا، خارج عنه، متمايز منه، غير عقلي. وما ليس عقليا لا يكون شيئا. فالله بحسب هذا المنطق المثالي ليس شيئا. فالله هنا هو الفكرة، او هو مطلق الفكرة، فالعقل كعقل محض لا يثبته، وفكرة "كانط" هذه قتلت الميتافيزيقا من أصلها[13].

كيف لا وهو القائل في تصديره لكتابه "نقد العقل الخالص": "لقد كان زمن كانت تدعى فيه ملِكة كلّ العلوم. ولو حسبنا القصد بمثابة فِعل، لكانت تستحقّ فعلًا رتبة الشّرف هذه بفضل الأهمية الفريدة التي لموضوعها. لكنّ موضة العصر الآن، تريد أن لا نُظهر لها إلا الازدراء، وهذه السيّدة العظيمة (أي الميتافيزيقا)، وقد أُبعدت وأُهمِلَت، تنتحب كما هيكوب[14]"[15].

إضافة الى ما سبق يضيف بأنّ واجب الفلسفة أن تفعل هذا، أي "أن تقشع السّراب النّاجم عن سوء التّفسير حتى لو أدّى ذلك إلى ابطال خرافة ممجّدة وحميمة...، وأجرؤ على القول، إنّه لم يبق سؤال ميتافيزيقي واحد لم يجد حلا، أو على الأقل لم يقدّم مفتاح حلّه هنا"[16]، يعني في كتابِه نقد

[13] – وقد أفردنا لفلسفة كانط – وهذا الخطأ التاريخي الذي وقع فيه– مقالا مستقلا لعله ينشر قريبا.

[14] – في نواحها على زوجها بريام، كما في الاسطورة اليونانية.

[15] – امانويل كانط: **نقد العقل المحض**، ترجمة: موسى وهبة (مركز الانماء القومي، لبنان، بيروت، ط2: لم ارى س ط) ص25.

[16] – المصدر نفسه: ص27.

العقل المحض.ولكن يرى صاحب كتاب "**رواد المثالية في الفلسفة الغربية**" بأن كانط لم يكن يقصد أي ميتافيزيقا، بل يقصد تلك التي تخلّفت عن فلسفة "غوتفريد فيلهيلم ليبنتز(Gottfried Wilhelm Leibniz 1640– 1716م)، و"فلسفة كريستين وولف"(Christian Wolf 1689– 1754م)[17].

وهكذا كان "كانط" يسعى إلى قتل الميتافزيقا القطعية ومن تشبهها، تمهيدا لإقامة ميتافيزيقا نقدية حسب نسقه الفلسفي. تلك الفلسفة التي هزّت لمثالية التقليدية، تميزًاعن مثالية **باركلي**(1685– 1753م)[18] الدّغمائية، ومن مثالية **ديكارت**[19] الشكّاكية"[20]. المطلقة.

[17] – عثمان أمين: **رواد المثالية في الفلسفة الغربية.** ص100. مصدر سابق. وانظر: ارجع الى: يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**. ص: 123.

[18] – يمكن تلخيص فلسفة باركلي(المسيحي) بثلاثة جمل واحدة، وهي قوله: "أن يوجد معناه أن يدرك" و"أنّ الطبيعة هي اللغة التي يخاطبنا بها الله وليست علة مغايرة عن الله"، و"أن المُثل هي الله نفسه". من أهم كتبه: "**مبادئ المعرفة الانسانية، حيث يفحص عن أهم أسباب الخطأ والصعوبة في العلوم، وأسس الشّك والكفر بالله والإلحاد**". وهو الكتاب المشتمل على مذهبه اللامادي. أنظر: يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**. ص126. مرجع سابق.

[19] – مثالية ديكارت مبنية على الشك المطلق، وقد بنى ديكارت منهجه الشكي على عَلَمين: الأول "الغزالي ابي حامد"، من كتاب "**المنقذ من الظلال**"، وأنظر كتاب "**المنهج الشكي بين الغزالي وديكارت**" لـ: عبد الرحمن بدوي، **والثاني** فكرة الله والتي استقاها من القديس توماس الاكوينوس كما في كتاب "**الله في فلسفة القديس توما االكويني**"، وهذا الاخير استفادها من "ابن سينا". وأنظر حول علاقة "ديكارت"

وبما أننا قد قدّمنا للمثالية بشكل عام، فإننا سننتقل للمثالية الألمانية مجال البّحث بشكل خاص.

ووفقا لما سبق، نسأل عن مفهوم المذهب المثالي في الفلسفة الألمانية:

الجزء الثاني: مفهوم المثالية بعامة والألمانية بخاصة؟ :

أولا: مفهوم المذهب المثالي بشكل عام:

"المذهب المثالي هو – بصفة عامة – النظرية التي تذهب إلى أنّ الأفكار أو المُثل العليا – تسبق انطولوجيا أو أبستمولوجيا، أو هما معا– الاشياء أو الواقعي.

غير أن المذهب المثالي يختلف تبعا للمعاني(بين أشياء أخرى) التّي ينسبها إلى الفكرة والمثل الأعلى، ونوع الأسبقية التي تُعزى إليها.

ويؤكد المذهب المثالي عند أفلاطون أسبقية المثل، وهي نماذج عقلية مستقلة. ولكن نظرا للمعنى الحديث للفكرة الذي يجعلها مساوية للتمثيل الذهني، أصبح المذهب المثالي يشير إلى الإيمان بأن الأشياء بما هي

بـ"الاكويني": فؤاد مليت: **الدّليل القبلي في فلسفة ديكارت، المسألة الإلهية ومسار أفول الميتافيزيقا** (أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية: 2010–2011م) ص ص: 44– 81.

[20] – تلخيص من: **المثالية الألمانية:** ج1: ص47. مرجع سابق.

كذاك، أو الأشياء على نحو ما نستطيع أن نعرفها هي ببساطة أفكاري، أو أفكارنا، أو تركيبات منها. أو اسقاطات لأفكاري أو لأفكارنا"[21].

إذًا عَرف تاريخ الفلسفة تعدّدا في نظريات الفكر والفلسفة، ومنها هذه التي تُسمّى(مثالية)، والتي عُرِفت باعتبارها: "استراتيجية فلسفية تقبل التوصيف بثلاث علامات على الأقل، وهي:

(1)- باعتبارها **نظرية وجود**(أنطولوجيا) تدّعي المثالية وجود ذوات روحية(المثل)، لا تقبل الردّ إلى الذّوات المادّية.

(2) - باعتبارها **نظرية المعرفة** فإنّها تمثل الأطروحة القائلة إنّ العالم الخارجي الذي يظهر للإنسان ليس مستقلا عن تصورات الذّات المفكرة.

(3) - باعتبارها **أخلاقا** تخصّص المثالية نظرة معيارية لتأسيس العمل وتبريره انطلاقا من مبادئ عقلية"[22].

هذا هو المذهب المثالي بشكل عام، أما المذهب المثالي في الفلسفة الألمانية فهو

[21] - **معجم مصطلحات هيجل(A Hegle Dictionary)، بقلم: ميخائيل أنوود(Michael Inwood)**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام(المركز المصري العربي، الكويت، 2000م) 249.

[22] - هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**، ج1: ص37. مصدر سابق.

ثانيا: مفهوم المذهب المثالي في الفلسفة الألمانية:

وهكذا وبعد البحث والنّظر المستفيض، ظهر أنّه من غير الممكن فهم المثالية من دون فهم المصطلحات المتعلقة بالمثالية نفسها، والتي تساعد على فهم هذه المثالية وما يتعلق بها من فلسفات وأفكار، ظهر لنا أن نذكرها قبل ضبط مفهوم المثالية في الفلسفة الالمانية، نذكرها لما لها من تعلّق مباشر بهذه الفكرة بشكل خاص، وموضوع البحث بشكل عام، نذكر منها: "كلمة **مَثَل أعلى، أو (مثالي) في اللغة الالمانية...، تعني معنيين معا:**

(1) **الاسم: مثل أعلى،** و(2) **الصفة: مثالي.**

[فـ] المثل الأعلى في الاستخدام المألوف هو الهدف أو النموذج الذّي يسعى الجهد البشري في أي مجال إلى تحقيقه: في مجال التربية أو السياسة أو الفن، او العلم...إلخ، وقد يكون هذا المثل الأعلى تصوّرا مجرّدا مثل...، الفرد المتخيّل...، ننظر إليه على أنه يجسّد مثل هذا التّصور. وهكذا يمكن للمرء أن يسعى عقليا، نحو مَثَل أعلى حتى ولو اعتقد انه لا يستطيع تحقيقه تماما...، طالما أن المرء يعتقد أنّ سعيه

سوف يجعله يقترب من هذا المَثَل الأعلى، والمثل الأعلى عند كانط هو الفرد المتصوّر على أنّه يتطابق تاما مع الفكرة"[23].

ولذلك تسعى المثالية الألمانية إلى انتاج مُثُل عليا في الأفكار، وهي تسعى بهذا إلى تحقيقه، في سياسة الفرد داخل أسرته، وداخل دولته، وهكذا في تربية الفرد من طريق مُثُلٍ فنيّة، تجعل منه انسانا معتدلا فكريا، فتجعل منه فردا ذا نفسية جميلة، تسعى للخير دون ضدّه، ولهذا فالتربية المثالية تركّز على المثال الذي سوف يُحتذى من طرف الفرد، قبل أن تركّز على الفرد، وهذا ما جعل كانط يقنّن تلك القوانين الأخلاقية المثالية، من مثل قانون الواجب، وهو الذي جعله يقول فيما بعد بأنّ المثل الأعلى هو الفرد نفسه متطابقا مع الفكرة، أي مع المثال، حتى يكون الفرد في تربيته مثاليا. وهذا لأنّ "المثالية في الفلسفة هي خاصيّة أن تكون مثاليا، لكن في مقابل (الواقعي) و(الواقع)، لا بمعنى (النموذج) او (النموذجي)"[24].

وهكذا اتجه المذهب المثالي في القرن العشرين إلى "تكوين نظم فلسفية يحاول فيها تفسير العالم على أنّه نِتاج لحركة الفكر"[25].

[23] – تم تلخيص فكرة (المذهب المثالي الألماني) هنا، من كتاب: **معجم مصطلحات هيجل**، من: 245– 253. مع شيء من الشرح والتحليل مما فهمناه من خلال بحثنا طيلة مدة البحث في المثالية. مصدر سابق.

[24] – المرجع نفسه: ص247. المرجع السابق.

[25] – إ. م. بوشنسكي: **الفلسفة المعاصرة في أوربا**، ص27. مرجع سابق.

وهكذا "ظلّ مفهوم المثالية، منذ القرن الثامن عشر، موضوعا للدّلالة على مفهوم نوعي، وهو في الحقيقة مفهوم تحقيري. من ذلك مثلا، كان من يوسم بالمثالي عند(ليبنتس–1646، 1716م–) و(فولف–1679، 1754م–)[26] هو الشخص الذّي يدّعي الوجود الفكري للنّفس، وينفي وجود العالم الواقعي والجسد...، وقد أدرج مفهوم المثالية بمعناه الاصطلاحي في الفلسفة مع كانط باعتباره تسمية ذاتية، ومفهوما مقابلا للطبعانية، والمادية والواقعية والوثوقية.

وقد قال ابن مندل سنة 1785م شارحا مفهوم المثالية:

(يعتبر القائلون بالمثالية كل ظاهرات حواسنا أعراضا للعقل الإنساني ولا يعتقدون أنّها ذواتٍ قائمة في الخارج)...،

إلا أنّ استعمال المفهوم لم يكن قط مستقرا، ومتّحدًا خلال هذه الحقبة التي عُرفت بهذا الاسم، كلّها.

فالفلاسفة المثاليون في ألمانيا يجادلون خاصّة ضدّ القطب المضاد(الواقعية)– [عالم ضد المثالية على طول الخط، الاشياء موجودة

[26] – ارجع إلى: هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**: (ج1 ص 94) مصدر سابق. وقد كان فولف ناقدا لسبينوزا، عكس لسنغ() الذي انشغل بشكل ملفت بل مركز على فلسفة سبينوزا مؤيدا اياها.

في عين الواقع، أدركناها أم لم ندركها– ويمكن القول هنا أن البشر واقعيون، ولهذا فالواقعية أسبق من المثالية][27]–.

لكنّهم في الوقت نفسه، يتنازعون كذلك في ما بينهم...، بفضل إضافة صفات من جنس **مثالية محدّدة** بكونها، **نقدية** أو **متعالية** أو **ذاتية** أو **موضوعية** او **مطلقة** أو **حقيقية** و**غير حقيقية** أو **سطحية** أو **دغمائية** أو **شكلية** أو **مجرّدة**.

لم يتم إدخال المصطلح **(مثالية ألمانية)** إلا في أربعينيات القرن التّاسع عشر، وكان ذلك في الحقيقة بفضل المعارضين الماديين الذين كانوا يدافعون عن (نزعة إنسانية حقيقية)، ضدّ عدوّتها(الروحانية)[28] أو(**المثالية التأملية)**، التي تستبدل الفرد الإنساني الحقيقي بالوعي بالذّات أو(الروح)...،

ولم يظهر استعمال **(المثالية الالمانية)** استعمالا محايدا، من دون دلالة ايدلوجية إلا في زمن متأخّر جدا. من ذلك مثلا انّ هذا المصطلح ورد

[27] – ما بين عارضتين زيادة مني ليتّضح المعنى.

[28] – ومن زعمائها الفيلسوف الفرنسي "هنري برغسون"(Henri Bergson 1859–1941م)، وخلاصة مذهبه في هذا هو: **فيه عِلاقة** بين النفس والبدن، ولا ننكر العِلاقة بين الدماغ والفكر، **لكنّها ليست علاقة عليّة**. فليس الفكر معلولا للدّماغ– كما ترى المادية ومنها "ماركس"– ولفهم هذا يجب التفريق بين(المفاهيم المنطقية، والمفاهيم الفلسفية)، وبالتالي بين(العِلاقات الفلسفية والعِلاقات المنطقية)، هذا ما يشير اليه باحثون معاصرون.

سنة 1865م في كتاب: ف. أ. **لانجاس** الذي هو كانطي محدث...، كتابه **تاريخ المادية**[29]، ويمكن اعتبار مصطلح المثالية الالمانية قد استقرّ في زمن استعماله من قبل **دلتهاي** مثلا في كتابه **مدخل إلى علوم الإنسان(علوم الروح)** سنة 1883م، أو في كتابه **بناء العالم التاريخي في العلوم الإنسانية** سنة 1910م...،[30]

إلا أنّه لا يوجد تعريف عام للمثالية يقبل به الجميع. وقد لاحظ (ف. ماوتنر سنة 1910م أنّ: **المثالية كلمة حديثة نسبيًا لكنّها كانت من البداية كلمة ملتبسة، وقلّ أن يقصد شخصان استعمالها بالمعنى نفسه)**"[31].

[29] – يذكر المختصون: أن المادية هي المذهب الذي يفسر كل النشاطات على أنها تجليات لنشاط المادة، وهو ما نصره "ماركس" في فلسفته التي درس فيها المادية بدءا من "ديمقرطيس"، في أطروحة دكتوراه الخاصة به، في محاولة تأسيسه للمادية في العصر الحديث.

[30] – للفيلسوف دلتهايDilthey Wilhelm(1833– 1911م)– أنظر له – كتاب: **حول مبادئ الأخلاق**(1861–1864)، ولقد كان أستاذا في جامعة بال(1867) بفضل رسالة تأهيل حول **الوعي الأخلاقي**(1864)، واشتغل بالبحث في(ابيستمولوجيا العلوم الإنسانية)، و(علوم الفكر والروح) وشغل كرسي "هيغل" بجامعة برلين(1882م). تأثر: بفلسفة كانط "Kant" وهيجل"Higle" وشلنج"Schelling" وشلايرماخر"Schleiermacher".

[31] – تم تلخيص معنى المثالية من: هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**، ج1: ص ص:38– 42. مصدر سابق.

ولكن توجد محاولات توفيقية ترى أنّ معنى المثالية في الفلسفة الألمانية، لا يكاد يخرج عن معنى الفكر أو الرّوح أو العقل. ووفقا لهذا الطّرح يمكن أن نقول أنّ: المذهب المثالي(Idealism) "مشتق لغويا من كلمة(Idea) أي الفكرة(لا من كلمة Ideal بمعنى مُثُل أعلى كما يظنّ البعض)، ومعنى ذلك أنه:

مذهب يرتكز حتى من اشتقاقه اللغوي ذاته على الفكر.

أو هو المذهب الذّي يجعل الفكر – أو العقل أو الرّوح، وهي كلمات كلها متقاربة المعنى – أساسا له"[32].

وهذا ما جعلنا ننبه لتنبيهين حول المثالية:

الجزء الثالث: تنبيهان حول المثالية: وبعد ان عرّفنا بالمثالية الألمانية، ننبّه لشيئين:

أ/ التنبيه الأول: الفلاسفة الذين تُنسب لهم المثالية[33] أو قل بتعبير أعم الوحدة في مسمى المذهبية، لا يعجبهم هذا كثيرا، مثل الذين سنتكلم عليهم ونصفهم بالمثاليين.

[32] – امام عبد الفتاح امام: **دراسات هيجلية** (دار الثقافة، القاهرة، 1984م) ص13.

[33] – هناك مؤلف خاص بهذا الباب، أعني باب رواد المثالية، وعنوانه: **روّاد المثالية في الفلسفة الغربية**، تأليف: عثمان أمين(دار الثاقفة، القاهرة، مصر، 1989م). وقد أشرنا له من قبل في المتن.

"فالمنظومة المقصودة بهذه المفردة عرفها في المقام الأول تلامذة هيجل بأسماء(أصحابها). ف. ش. ل. ميشلي(1839–1838م) قدم تاريخا للأنساق الأخيرة من الفلسفة في ألمانيا من كانط إلى هيجل.

ثم أصبح هذا (الخط الفكري) المزعوم بفضل (كتاب) ر. كرونر **من كانط إلى هيجل**(1921– 1924م) موضعا (فكريا)"[34].

ب/ التنبيه الثاني: يظهر أن الفلسفة الألمانية، حين نسميها بالمثالية، لا يعني البتّة، أنها منفصلة عن الواقع[35]، بل هي فيه، في فكره، معتمدة على روح الفكر وما يبحثه العلم، كيف لا وهي التي تعالج العقل في التاريخ، ولهذا فالألمان لا يرون أن الحقيقة تكمن في عالم المثال(الأفلاطوني)، – بالرغم من تأثرهم بالفلسفة اليونانية، بل هي أحيانا معدودة أنها امتداد لها– بل هي فلسفة في جوهرها تأمل للأنا(الذّات) والوجود خاصة عند "ليبتز"(Gottfried Wilhelm Leibniz 1640– 1716م)، و"كريستين وولف"(Christian Wolf 1689– 1754م)، وهو أستاذ "مارتن كنيوتزن"(1713– 1751م) وهذا الاخير أستاذا لـ"كانط" في مادتي المنطق والميتافيزيقا[36] –وهكذا عكف كانط على الميتافيزيقا هو الآخر تحت تأثير فولف ونيوتن وألف كتابه: "**المبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية**".

[34] – هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**، ج1: ص38. مصدر سابق.

[35] – يُنظر: عزيز السيد جاسم: **ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية**(النهار للنشر، لم أرى دولة، 1982م).

[36] – وأنظر: هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**.(ج1: ص94). مصدر سابق.

والغرض من تأليفه هذا: قبول العلل الغائية على وجود الله– وهذه الأخيرة (أي الميتافيزيقا) سوف يكون لها مع "كانط" مفهوما جديدا، مخالفا للمفهوم القديم، **ولهذا فإنّ إلحاق المثالية بالفلسفة الألمانية، لا يُفهم منه أنها تعيش في عالم ما وراء الوجود**، وأنها منفصلة عن الواقع كما اتّهمتها الفلسفة الانجليزية، والتي كثيرا ما تتبجّح بأنها واقعية من جهة أنّ مصدرها الواقع التّجريبي، وأنّ ما عداها كالمثالية الألمانية – وخاصة مثالية هيجل– فلسفة جامدة، رجعية لا تقدّمية، وبعيدة عن واقع الدولة والمجتمع والفكر، وباختصار حتى تكون تقدّميا يجب أن تكون ماديا، ونسي أنصار المادية أو التجريبية[37] أو الوضعية المنطقية، أنّ مذهبهم هذا هو في جوهره عائق للتّقدم بوجه ما، سنبيّنه حين نتعرض (للمثالية الهيجلية)[38].

[37] – يمكن ان تنظر في: دفيد هيوم**David Hume: مبحث في الفاهمة البشرية**Enquiry Concerning The Human Understanding، ترجمة: موسى وهبة(دار الفارابي، بيروت– لبنان، ط1: 2008م).

[38] – ارجع الى: امام عبد الفتاح امام: **المنهج الجدلي عند هيجل**(دار المعارف، مصر، 1968م) ص، ص: 367– 404.

خلاصة البحث:

كلمة **مَثَل أعلى، أو (مثالي)** في الألمانية، لها معنيين معا: الاسم: مثل أعلى، والصفة: مثالي.

ولم يظهر استعمال(**المثالية الالمانية)** مستقلا(مثل عقلاني، أو تجريبي) من دون أدلجة إلا في زمن متأخّر جدا. وورد فقط سنة 1865م في كتاب: ف. أ. **لانجاس** وهو كانطي محدث في(**تاريخ المادية)**، واستقرّ زمن استعماله من قبل **دلتهاي** في(**مدخل إلى علوم الإنسان/علوم الروح)** سنة 1883م، أو في(**بناء العالم التاريخي في العلوم الإنسانية** سنة 1910م)

ولا يوجد تعريف عام للمثالية مقبول للجميع، لأنّ (المثالية كلمة حديثة نسبيًا ملتبسة فكريا، فقلّ أن يُقصد في استعمالها معنى بعينه بين شخصين)، وهي اتجاهات: **فلسفة مثالية نقدية، أو المتعالية(ترنسدنتالية)** مع (كانط: 1724 – 1804م).

ومثالية ذاتية مع فيشته(1762–1814م). **ومثالية موضوعية** مع شللنج(1775– 1854م). **ومثالية مطلقة – من المطلق(des Absolute) – أو الموضوعية:** (هيجل: 1770 – 1831م).

وهي قسمان كلاسيكية ومحدثة، وبينهما أوجه تشابه واختلاف.

ومن أهمها انّ القديمة متعالية مفارقة لواقعنا، مُثلها وميتافيزيقاها وأفكارها قارّة. أما الحديثة فنسبية متّصلة بواقعنا.

والاختلاف بينهما لم يمنع من وجوه اتفاق. وهكذا ظلّ مفهوم المثالية، منذ القرن الثامن عشر مفهوم تحقيري.

ولم يتم إدراج مصطلح(**مثالية ألمانية**) إلا مع أربعينيات القرن ما قبل الماضي بفضل المعارضين الماديين. والذين تُنسب لهم المثالية أو قل بتعبير أعم الوحدة في مسمى المذهبية، لا يعجبهم هذا كثيرا. لأن المثالية الألمانية، لا تعيش في ما وراء الوجود.

مصادر ومراجع البحث (سوف نقتصر على ذكر أهمها فقط وليس كلها):

المصادر:

1. آرثر شوبنهاور: "**فن أن تكون دائما على صواب أو الجدل المرائي**"، ترجمه: رضوان العصبة، راجعه: حسان الباهي (منشورات ضفاف– دار الأمان، لم أرى دولة، طبعة1: 2014م).
2. آرثر شوبنهور: **العالم إرادة وصورة.** ترجمة: سعيد توفيق، مراجعة: فاطمة مسعودة (المركز القومي، لم ارى دولة، 2006م).
3. إمانويل كانط: **الدين في حدود مجرّد العقل،** ترجمة: فتحي المسكيني (جداول للنشر، الحمراء، لبنان، ط1: 2012م).
4. امانويل كانط: **نقد العقل العملي،** ترجمة: غانم هنا (مركز الوحدة العربية، الحمراء– بيروت، ط1: 2008م).
5. امانويل كانط: **نقد العقل المحض،** ترجمة: موسى وهبة (مركز الإنماء القومي، بيروت– لبنان، 1988م).
6. امانويل كانط: **نقد ملكة الحكم،** ترجمة: غانم هنا (المنظمة العربية للترجمة، الحمراء– بيروت، ط1: 2005م).

7. فردريش هيجل: **فينومينولوجيا الرّوح**، ترجمة: ناجي العونلي (المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، ط1: 2006م).

8. فريدريش شيللر: **في التربية الجمالية للإنسان Briefe Uber die As the Tische Erziehung des Menshen**، ترجمة: وفاء محمد ابراهيم (الهيئة المصؤية، مصر، 1989م).

9. فريدريش نيتشه: **ما وراء الخير والشّر، تباشير فلسفة للمستقبل Jenseits vorspiel einer Philosophie der von gut und böse, Zukunft**(دار الفارابي، لبنان، ط1: 2003م).

10. فريدريش هيجل: **أصول فلسفة الحق**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م).

11. فريدريش هيجل: **العقل في التاريخ، المجلد الاول من محاضرات في فلسفة التاريخ**، ترجمة امام عبد الفتاح(دار التنوير، بيروت، ط3: 2007م).

12. فريدريش هيجل: **العقل في التّاريخ**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (التنوير، بيروت، ط3: 2007م).

13. فريدريش هيجل: **في الفرق بين نسق فيشته ونسق شللنج في الفلسفة**، ترجمة: ناجي الهونلّي(دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1: 2007م).

14. **موسوعة العلوم الفلسفية لهيجل**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م).

المراجع:

15. إزايا برلين: **جذور الرومانتيكية**: ترجمة: سعود السويدل (جداول للنشر والتوزيع، ط1، الكويت: 2012م).

16. ألآن تورين: **نقد الحداثة**، ترجمة: أنور مغيث (المجلس الأعلى للثقافة، الدار البيضاء، 1997م).

17. امام عبد الفتاح امام: **المنهج الجدلي عند هيجل** (دار المعارف، مصر، 1968م).

18. امام عبد الفتاح امام: **دراسات هيجلية** (دار الثقافة، القاهرة، 1984م).

19. أمبرتو إيكو: **العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه**، ترجمة: سعيد بنكراد، راجع النّص: سعيد الغانمي (المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط2: 2010م).

20. بول رِزغبِر: **فلسفة القيم**، تقديم: عادل العوا (عويدات للنشر والطّباعة، بيروت– لبنان، ط1: 2001م).

21. جيل دولوز: **فلسفة كانط النقدية**، تعريب: أسامة الحاج (المؤسسة الجامعية، ط1، 1417هـ– 1997م).

22. حنا ديب: **هيجل وفيورباخ**(دار أمواج، بيروت– لبنان، ط1: 1994م)

23. رينيه سرّو(Rene Serreau): **هيجل والهيجلية**(Hefle et L'hégélianisme)، ترجمة: أدونيس العكره (دار الطّليعة، بيروت، لبنان، ط1: 1993م).

24. زكريا إبراهيم: **هيجل أو المثالية المطلقة** (مكتبة مصر للمطبوعات، 1998م).

25. عثمان أمين: **روّاد المثالية في الفلسفة الغربية** (دار الثاقفة، القاهرة، مصر، 1989م).

26. عزيز السيد جاسم: **ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية** (النهار للنشر، الدولة، ط1: 1982م).

27. كاتارينا مومزن: **جوته والعالم العربي**، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة: عبد الغفار مكاوي (المجلس الوطني، سلسلة عالم المعرفة: العدد194، الكويت 1995م).

28. محمد البشير الإبراهيمي: **آثار الإبراهيمي**: جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 997م).

29. محمد سبيلا، **الحداثة وما بعد الحداثة** (دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2000م).

30. محمد عثمان الخشت: **مدخل إلى فلسفة الدّين** (دار قباء، القاهرة، 2001م).

31. محمد عمارة مصطفى: **المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد** (دار المعارف، لم ارى دولة، 1998م).

32. **ميخائيل أنوود(Michael Inwood)، معجم مصطلحات هيجل(A Hegle Dictionary)**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام (المركز المصري العربي، الكويت، 2000م).

33. هنس زندكولر: **المثالية الألمانية**، ترجمة: أبو يعقوب المرزوقي، وآخرون (الشبكة العربية، بيروت، ط1: 2012م).

34. ولتر ستيس: **فلسفة هيجل**، المجلد الثاني: **فلسفة الروح**، ترجمة: امام عبد الفتاح امام، تقديم: زكي نجيب محمود (دار التنوير، بيروت، ط3، 2005م).

35. ويل ديورونت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع (بيروت، مكتبة المعارف، ط4، 1982م).

36. يورغان هابرماس: **الفلسفة الألمانية والتّصوف اليهودي**، ترجمة: نظير جاهل (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1: 1995م).